TEACHER'S FORUM FORUM DE L'ENSEIGNANT منتدى الأستاذ
المجلد: 15 العدد: 02 السنة: جوان 2019 الصفحات 95 ـ 105

كرونوتوب التراث في رواية "الرعشة" لأمين الزاوي

مقاربة سوسيو تاريخيّة

The Chronotope of Heritage in the Novel "Shiver" by Amine Zaoui
A Socio-historical Approach

د. عواطف سليماني* . كلية الآداب واللغات. جامعة عبّاس لغرور . خنشلة. (الجزائر).

البريد الإلكتروني: Slimani_uni@yahoo.com

تاريخ الإرسال: 2018/07/17 تاريخ التعديل : 2019/05/20 تاريخ القبول: 2019/06/30

ملخص

يتشابك معطى الكرونوتوب بمنح أفضلية تاريخية على زمنية الطبيعة، لأن التاريخية خطاب خاص بالقيمة والمعيار البشري، الذي يعد نظاما قائما بذاته لا مجرد تنازل لنظام دوغمائي، يعمل بمعيته، بحيث يظهر إلى السطح كلعبة للمرجعيات الإيديولوجية، منها الثقافية، والتاريخية، والدينية، كاشفة تناقضات متراكمة في التراث الإنساني، حاول أمين الزاوي أن يعرضها في "رعشته " بتخريب تراتيبيتها وإعادة بنائها وفق منظور حداثي، لتصبح لحظة منتظرة يسترجع فيها الكاتب حركية التاريخ و أشكال الكرونوتوب أيضا، مما يحيله على كيفية توظيف كرونوتوب التاريخ في رعشته؟ وكيف حقق معادلة الجمع بين ما هو تراثي وما هو عجائبي، وما هو واقعي؟ وهل يمكن التصريح بوجود كرونوتوب خاص بأمين الزاوي؟

الكلمات المفتاحية: كرونوتوب، التراث، التاريخي، الرعشة، أمين الزاوي.

Abstract:

The chronotope is intertwined by the granting of historical preference over nature's time. This is because the historical is a discourse specific to the human value and standard. It is a freestanding system rather than a concession to a dogmatic system that works with it, in which it emerges to the surface as a game for ideological references like the cultural, historical and religious references, revealing accumulated contradictions in the human heritage. Amine Zaoui tried to present them in his "Shiver" by ruining its hierarchies and rebuilding them according to a modernist perspective to become an expectant moment in which the writer recalls the dynamics of history and the forms of chronotope as well. This refers him to: how to employ the chronotope of history in his shiver? How he achieved the formula of combining what is heritage and miraculous and what is realistic? Whether it is possible to declare the presence of a special chronotope for Amine Zaoui?

Keywords: Chronotope, heritage, historical, shiver, Amine Zaoui.

المؤلف المرسل للمقال : عواطف سليماني، الإيميل: Slimani_uni@yahoo.com

مقدمة:

مصطلح الكرونوتوب ذو بعد مورفولوجي، يجمع بين الزمان والفضاء، في عالم واقعي وآخر تاريخي، تلخصه عدة أشكال وأجناس أدبية منها الرواية، حيث وضع هذا الجنس الأدبي محل تساؤل على المستوى النظري والتطبيقي، لأن محل اشتغال هذا المصطلح (الكرونوتوب) هو الأخذ بالحسبان حركية التاريخ في علاقته بتحولات الفضاء الدنيوي، حتى لنجده يتصدر مكانة مركزية في التفكير الجمالي والنقدي عند "باختين"، وهيجل، وماركس، عن طريق استثمار طاقة السيميوطيقا والشعرية الروائية، ومع هذا نجد "باختين" يعرف الكرونوتوب بقوله: "ما يحدث في الزمكان الفني الأدبي هو انصهار علاقات المكان والزمان في كل واحد مدرك ومشخص، الزمان هنا يتكثف ليتراص، ويصبح شيئا فنيا مرئيا، والمكان أيضا يتكثف، يندمج في حركة الزمن والموضوع بوصفه حدثا، أو جملة من احداث التاريخ، علاقات الزمان تتكاثف في المكان، والمكان يدرك ويقاس بالزمان، هذا التقاطع بين الاتساق، وهذا الامتزاج بين العلاقات هما اللذان يميزان الزمكان الفني".[1]

ليبقى الكرونوتوب يقصد به التلون الإبداعي، باعتبار الرواية العربية الحديثة لها مرجعيات غربية، لأن "الفكرة الدارجة لدى الكثير من النقاد والباحثين، والتى تؤكد بدون عمق في البحث وممارسة جادة للنصوص الإبداعية العربية، أن الرواية العربية هي الإبن الشرعي للرواية الاوروبية، والثقافة الغربية عموما"،[2] ولأن أمين الزاوي أحد كتاب الرواية باللغتين العربية والفرنسية، فإنه ومن دون شك يأخذ من هوى هذه، ومن عبق تلك، ليجسده في رواية ذات مرجعية ذاتية، هي مرجعية أمين الزاوي، حيث أصبحت الرواية عنده ترفض التغييب، وتبعث عن الانفصال والتميز عن الآخر، لتتجه الى مساءلة الذات عبر التراث، فنجده يستلهم منه شخصياته (ابن خلدون، عبد الله بن ماريا، زهير ابن اسحاق) وعدة شخصيات أخرى من خلال رحلته في مدونات وسرود مختلفة الاهتمامات والعلوم، كالتاريخ، الفقه، الشعر، وغيرها مما يشكل دائرة التراث العربى، التى اجبرتها العولمة على القفز من سلسلة التاريخ البشري والحضور بتعدد صوتي في كتابة رواية الرعشة.

لهذا يمكن لقارئ نصوص أمين الزاوي أن يجسد شذرات من نصوص أخرى وعبارات مختلفة ومتنوعة، تتناغم فيما بينها بشكل جميل، حتى لتبدو قطعة واحدة، وهذا ما يميز الرواية المغاربية الحديثة اليوم، بشكل عام "هذا الموقع للرواية داخل عالم النص كان ثمرة تحولات عايشتها المجتمعات المغاربية غداة الاصطدام المباشر. والعنيف بالغرب، وبسبب تنامى الوعى الوطني، وبفعل تأثيرات عمليات التبرج والمثاقفة"،[3] فالمناخ الثقافي المغاربي أفضى إلى ضرورة ابتداع شكل جديد للرواية المغاربية يغنيها عن استراد الأشكال الروائية الغربية، أو المشرقية، بالعودة إلى التراث واستجلاب عناصره، بإعادة توظيفها والاحتفاء بلغتها الفصيحة، كمثل ما كتبــه محمود المسعدى في روايته "حدث أبو هريرة قال؟ ليجد أمين الزاوى وغيره من الكتاب قد وقعوا تقنيات جديدة في كتابة رواياتهم منها:

* تكسير مسار السرد الخطى وتعدد مستويات اللغة.
* توظيف العجائبي في الرواية.
* توظيف الميتا سرد كشارح لمشكلات الكتابة الروائية.

هذه التقنيات يمكن توضيحها من خلال كرونوتوب العمل الفنى لأمين الزاوي "الرعشة " وما يشمله من بناء نقدي كمرحلة أولى، ثم كرونوتوب الشخصيات باعتبارها متماهية في الزمكان لا انفصال بينهما، لأن الكرنوتوب في هذه الرواية هو الشخصيات في ابعادها العلائقية بكل ما يؤثث الرواية.

1- كرونوتوب العمل الفنى"الرعشة":

كل عمل فني أو أدبي مفرد يقدم توليفة مغايرة للسمات الكرونوتوبية للأجناس الأدبية المعروفة، وبتحديد طابعها، كالعجائبية والواقعية، وبتضخيم صورها في جنس واحد هو الرواية، ففي رواية الرعشة نجد تقاطعا لعالم الكرونوتوب العجائبى الحالم، مع الروايات التاريخية، مثل ذكره لفضل ابن خلدون عن العرب والبربر ومن عاصرهم "...مسندا اعتمده ابن خلدون في وصف الإرث والعادات والتقاليد التى تحكم مسطرة العلاقات بين أهل القرية..."[4] وبمسحة عجائبية يضيف أمين الزاوي "... والرواية الثانية، فيقال إن أخا لابن خلدون اسمه يحي كان يعيش في تلمسان مدينة الكرز والعسل والماء الرقراق والنساء الجميلات، هي غرناطة الجنوب... ويبدأ اليباب في الأرض والخراب في الروح... وجفت الدالية والتهمت العنزات ما تبقى من أوراق الاشجار المثمرة واختفى النعناع... ولم يبق بين يدى والدي سوى مخطوطة ديوان المتنبي، وثانية في العروض، وأخرى في النكاح والمعاشرة والطلاق، وأخرى في الميراث وحدود الأملاك الثابتة وانتقالها، وأخرى في الأعياد وخطب الأعياد والأفراح[5] هذه الكرونوتوبيات أكبر حوارية سجلها أمين الزاوي في بناء عمله الفنى "الرعشة" من بداية الرواية فقد جاء العنوان بخط غليظ أحمر يلفت الأنظار، ثم الإسم الرعشة مصدر متحرك في اطارى الزمان والمكان، وهي تشكل كرونوتوبا تيميا مع بقية رواياته كـ: غزوة، الخضوع، أما مكون الرعشة فهو مجال التقاء عناصر الرواية، من شخصيات وأفعال، وأحداث ليعضدها بعنوانين فرعيين لهذا العنوان هما: امرأة وسط الروح، وحكاية أطراف الريح، وذلك تدليلا على تمفصلات الرواية الكبرى، مستحضرا الجمالي والشعري فيها، فالعنوان الفرعي الاول، امرأة وسط الروح احالة على كرونوتوب التراث التاريخي، التى تقدم بها ابن خلدون شارحا ومفسرا، أما العنوان الفرعي الثاني، حكاية أطراف الريح فهو نقل لرياح العجائبية وما تذروه من نفحات الرعشة، لكن اذا ما تصفحنا هذه الرواية نجد فصولها دون عناوين تذكر، فقد ورد الفصل الأول أصم، اكتفى بتعداد الفصول، ليترك للمتلقى حافز ترتيبها وقراءتها "لأن العنوان غير ملزم بقول ما هو النص، ولكن ما يمكن أن يدل عليه أو يحيل إليه".[6]

وإذا ما قمنا بتشريح هذه العنونة الفرعية، فإنها تحيلنا إلى الكثير من التراث التاريخي والعجائبي، لأن الكرونوتوب كما يقول باختين "مهم جدا في الأدب وجود كرونوتوب، لأن الأعمال التى تستغني عن بعض متغيراته قليلة جدا، في حين أكثر الأعمال مشيدة على أساسه"،[7] وأمين الزاوي لم يخف عن القارئ مصادر ثقافته وروافدها، لقد صقلها في لغة سكنت ذاته على حد تعبير "هايدجر" حول فيها التراث الى هاجس تجريبي، يرسخ من نص لآخر، يتجدد كلما تجدد الوعي بالكتابة، فهو يسجل النصوص ويستحضرها بمعارضتها ومحاورتها "لم يكلف أبي نفسه تعب الرد أو التعليق على كلام أمي... كلام جارح مملوء بالغيرة وأشياء أخرى، يهرب أبي من كلامها فيدخل صمته الشعري، يدفن رأسه في كتبه و مخطوطاته التى ورثها عن جدي الذى كان عالما كبيرا[8] هذا السجال التاريخي بين أمين

الزاوي والشخصيات التاريخية المستحضرة في راويته هو كفاية يتوسل بها لغة أهل الحق والمعرفة، ليكسب القارئ عدة ألوان وتقنيات كتابة تجمع ما بين لغة الخبر ولغة التاريخ، ولغة السند، ولغة العصر وهو ما تحققه مستويات السرد في هذه الرواية.

2ـ كرونوتوب الشخصيات:

يندرج استعمال مصطلح كرونوتوب الشخصيات فيما يمكن أن يجعله مقولة ذات نوعية في تعريف شخصيات أساسها الامتداد والمسافة في عالم الرواية، لأنها عالم بنيوي يجمع المتناقضات، تمتد وتنمو من جهة توظيف الكاتب لها، كما تتحطم وتضعف بمثل ذلك ، فما كرونوتوب الحياة والتحدي عند زهير الحفيد وخالته زهرة إلا نموا بنيويا في رواية "الرعشة" وما ظهور وخذلان الوالد عبد الله والجد زهير إلا انذار بنهاية الرواية وأفول ضوئها، لأن "الكرونوتوبية كانت دائما موجودة في قلب التفكير الجمالي الروائي، رغم عدم وجود هذه الكلمة بالضبط[9] ومن السطور الأولى لرواية "الرعشة" حدد أمين الزاوى معالم طريق كرونوتوبيته فيها، لأنها الخطوات الأولى لبلوغ عالم التراث عنده، وبضرورة ملحة أفصح عن الصراعات الظاهرة والخفية، وبشكل مواز عندما غادر العالم الواقعي إلى عالم العجائبية، بعد أن استنفذ دورا له في ذلك (الحفيد زهير) وهو متجها نحو مدينة وهران، لتصبح رواية "الرعشة" رواية رحلة وعبور في الزمان والمكان، أو الكرنوتوب والمخيال الزاوي هي رواية محطة من محطات حياة الانسان، مستقبله الدراسي ومصير عائلته.

طريق برزت من خلالها شخصية الحفيد زهير، والتى توقف عنها أمين الزاوي مطولا عبر عشر صفحات من فصول الرواية، المتوسطة الحجم، استثمر فيها كرونوتوب التراث بشكل متعدد وكبير، حتى بدت تحمل العديد من أدلة الزمان وقيمته، من الزمن الكرونولوجي إلى التاريخي فالدائري، والبداية تكون منذ سفر الحفيد زهير الى المدينة، ولقائه بخالته الجميلة زهرة، التى حيكت حولها الحكايات والأساطير لتمردها عن قيم مجتمعها "لم أكن أتصور بعد كل هذا الحفل وذلك البارود ورقص أمي الذي لا مثيل له، أن أجد نفسي قبالة زهرة التى خرجت من حكايات الفتنة لتسكن دهاليز الصمت قالت أمي: ذلك الصباح وهي تودعني ستكون زهرة في مقامى"،[10] وتتوطد العلاقة بينهما إلى حد وقوع المحظور والخطيئة "كانت زهرة تتبع اشتعال عيني وهي تستعيد صورة جدي من خلال حكاية "رابعة العدوية" وكأنها أدركت أنني اكتشفت سر هذه الرابعة العدوية... أسترق النظر اليها ومثلي أجدها تسترق النظر إليا، الشقة تبدو مخيفة بأبواب غرفها العديدة منها ما هو مغلق ومنها ما هو مفتوح... مخيفة كمجال للجريمة أو الخطيئة[11] كرونوتوب الغريزة يعكس ثقافة الحفيد زهير، المتكتل قي ثقافة الشعب الجزائري من لحظات الضعف "أحاول أن أسحب نفسي من حافة الخطيئة التى أشرف على هاويتها فتحاصرني زهرة بذراعين من فولاذ فأستسلم إذ صرخت وقد فتحت عينيها في"،[12] تبطنه قوة استشعرتها الرواية ووصفتها منذ البداية لتتنبأ بنهاية زهير مع حشد من الناس بأيدى الإرهابيين وقد سلبوه إرث جده، تلك المخطوطات الثمينة، المطمورة بساحة البيت، هي طريق كرونوتوب يشوه التاريخ والتراث، سلكها الإرهابيون قصد تخريب منافذ ذاكرة زهير، وذاكرة العالم القديم، لتصبح ذات بعد سياسوى يتميز بفكر الإسلاموفوبيا، الذى يمتاز بسرعة الانتشار وقوة الأداء وديمومة القضاء في الأمر "أرى المدينة تشحذ و

الحفرة التي لا نختارها تهيئ لنا، والذئب يصحو في نظرة الملتحي، الذى من مكانه، من هناك على بعد أمتار يلتهم ردفي في السروال العسكرى.[13]

هو كرونوتوب النهاية و الإنذار بالموت ، و لبرما اللحظة الفاصلة نحو الخلاص ، وهنا تتداخل الصور عبر الزمن في ذهن زهير ، ليتقاسم نفس قيم الجماعة المتطرفة ، ويجد نفسه مستنزفا ومستنفذا كمن انقطعت به السبل النجاة في كوكب مهجور "انقطع الحبل بنا على رأس هذا الجبل ، ما عادت لنا نقطة ارتكاز".[14]

– **زهرة:** كرونوتوب الرواية ككل مدار الحكي فيه يكون حول الاسم، لأنه الهم الهوسي الذى يحمله كل روائي اثناء بناء عالمه الروائى على حد تعبير "فيليب هامون" أمين الزاوي كان متشضيا في اطلاق هذا الاسم "زهرة" حيث جمعه في جذر لغوى واحد.

(ز، هـ، ر) ثم اشتق منه ما يريد "خالتي اسمها زهرة هكذا يناديها الناس جميع ، عدا زوجها الذي يناديها زهور، وأبي الذي يناديها فاطمة الزهراء، وهذا الاخير هو اسمها المسجلة به في الحالة المدنية"،[15] وهي تعبير هن مناص يتجاوب ومخيلة الكاتب أمين الزاوي في رصد تصرفاتها بعيدا عن دروس الحوارية، التى ترسلها أثناء الحكى، لتشكل كرونوتوبا جوفيا يتكلم به الكاتب، أو السارد على لسانه بشكل صريح أو ضمنى (مونولوج) بحيث لا يمكن تأويل هذا الكرونوتوب خارج هذا السياق، لأنه يقوض بناءه والاسم يقيم "دلالة أولية، يمكن أن تكون مهمة الى حد كبير، إذا أحسن الكاتب التقاءه، إذ من الممكن أن يقيم الاسم علاقة أولية من خلال معناه المعجمي أو تركيبه الصوتي، أو من خلال رصيده التاريخي، ويمكن للاسم أن يوحى بجزء من صفات الشخصية النفسية الجسدية"،[16] ويبقى الاسم ذا مرجعية ثقافية، تاريخية دينية يحمل كرونوتوبا خرافيا أسطوريا، يتجاوز حد الطلب في المناقضة بين الصدفة التاريخية، والضرورة الاجتماعية للإنسان.

ومن ذلك ما يسرده زهير الحفيد، من أن جده زهيرا كان يعتنى عناية كبيرة في وضع مخطوط لشجرة عائلته، التى يرجع نسبها الى الرسول (ص)، بل وأكثر من هذا يضع لها كرونوتوبا محايثا، يفند فيه ما ورد بصحة المتون التراثية، ويعطيها تفاسيرا تتماشى وأهوائه: "على كل نحن من شجرة دم واحدة، كما تؤكد ذلك شجرة العائلة التى رسمها جدي والتى علقها على صدر الصالون الكبير، بعد أن زين حاشيتها بالسمق أو الحبر الأصفر، صفاره كصفار البيض مدموغ بأصفر زعفراني وأزرق فاتح وبنفسجي غامق ووضعها داخل إطار مذهب من اللوح الهندي العتيق والزجاج المرشق قليلا، لا تظهر ترشيقاته إلا ساعة العصر حين تمثل الشمس على إطار شجرة العائلة بدرجة تقارب الثلاثة والستين، وهو عمر الرسول عليه الصلاة والسلام"[17] هي تفاسير كاذبة أو عجائبية إن صح القول، لأن المقصود منها ليس اتقاء شر ما، بل الفخر والتباهى بالنسب والحسب، لهذا نسج الجد زهير هالة من الأسطورة حول نسله، حتى يعطيه مكانة وقداسة في سلسلة التاريخ الانساني، الذى يضع المتخيل الكرونوتوبي في حدس جديد وعميق، يحدد الصورة الاجتماعية له، لذلك كانت له الميزة الاسطورية والعجائبية الغير قابلة للملاحظة حظا وافرا في قبولها، ضمن صيرورة التاريخ الخاضع لتوجهات الانسان في رعشة الزاوي.

- **شخصية العباس**: شخصية تعيش حالة من عدم الاستقرار واللا انجاز وعدم الاكتمال، انها شخصية تعيش معاناة نفسية وتعقيدات بالحياة، لأن العباس ارهابي، تبنى فكرا اسلاماويا جديدا، رفض على اثره مجتمعا كان فيما مضى جزءا منه، شخصية مرضية تسعى لتسفيه أراء الآخرين عن طريق إصدار الاحكام وابداء النصائح والارشادات في سلسلة ارتدادات لولبية تبدأ من ذات العباس لتعود إليها، ذات حركة تقدم كرونوتوبا دائريا تعلن للمتلقى أن الكاتب لا يقدم أحداثا متسلسلة، إنما يسحبه الى دائرة هذا الكرونوتوب، حتى يعيد ترتيب بيت الرعشة، لا قراءته فقط، ويقدمه الزاوي من ماضى العباس المشين (السجن) ثم ما آل اليه (القتل) وهذا الكرنوتوب ترافقه حالة العودة إلى الرعشة، وهي حالة مرتبطة عادة بالماضى فالحاضر، ويبقى كرونوتوب متحرك يسعى إلى أن يكون كرونوتوبا ثابتا، يتوقف عنده العباس بموته، الذى كان يرى في جهاده حركة في مسار الحلم، بالعودة إلى عصر الخلافة الاسلامية "العباس الذى عثرت الشرطة عدة مرات على أقراص غريبة في جيوبه، قضى في السجن ما قضى، وفي كل مرة كان عفو رئيس الجمهورية يشمله ... يترك ثانويته ويقرر دون أن يعترض أحد على اختياره: سأضع حياتى في خدمة الله ولو تطلب ذلك الذهاب إلى أفغانستان أو باكستان أو آخر الدنيا".[18]

- **شخصية شوراكراي**: اسم لاتيني فرنسي، عاش صدمة الأنا، فقد هجره الالمان من بلده قسرا، ليجد الملاذ في الجزائر ويحض بمحبة الجميع، يأخذ حيزا في "الرعشة" وتوظيفه ك "كرونوتوب معنى وفائدة، أثناء تعلقه مع المكونات الأخرى للبرنامج السردى، ونقصد بذلك نظام الشخصيات ومنطق الحدث "اسمه شوراكراي من مواليد عين تموشنت، طرد الالمان أجداده من بلده، "الالزاس" فجاء باحثا عن ملجأ أو ظل شجرة يتفيأ عنده بسلام، يقرأ جرائده باستمرار ويسجل ملاحظاته في دفاتر صغيرة، أذنه على جهاز الراديو لا تفوته نشرة أخبار... حريصا على معرفة أحوال الناس في قرية ابن خلدون"،[19] وكرنوتوب هذه الشخصية مكملا ومتمما للرواية، التى لم يتبق منها إلا بضع صفحات على نهايتها.

3- كرونوتوب التراث والتاريخ:

ليس ببعيد عن كرونوتوب الشخصيات المحركة للعمل السردى، فإننا نجدها شخصيات تاريخية وأخرى تراثية، لكن يغلب عليها هاتين الصفتين الصفة الاعتبارية لا الطبيعية، ومن خلال تتبع مسار "الرعشة" السردي، نجده الكاتب يؤثث فضاءات روايته بشخصيات تراثية تاريخية، لتصبح هذه الشخصيات هي الفضاء والعكس كذلك، كما يأتى هـذا الفضاء فانتازيا عجائبيا يمكن معايشته على مستوى التخيل عند الزاوي الذى يتناغم مع أمزجة شخوصه لحظة اقتناص هذا الفضاء الفانتازي.

الكرونوتوب التاريخي الذي سجله "أمين الزاوي" في رعشته جاء منذ الصفحات الأولى لروايته لما له من أهمية في فتح آفاق قراءة هذا النص، لأنه ليس لعبة فكرية أو جمالية، بل هو تقنية يلجأ اليها الكاتب لدعم الحالات النفسية لشخصياته الروائية، هو كرونوتوب لا يمكن مقارنته بالفضاء العادى، يبدأ من أبسط خلجات النفس الى أرحب نقطة في الفضاء الخارجي، أو يرد بالعكس من الفضاء الخارجي الى زوايا النفس، ويشكل بذلك ترسيمة سلوكية عبر مسار السرد الروائي، عبر لغة تخلق حالة من الخيال كقوله: "في امسيردا هذه القرية العجيبة التى سجلها ابن خلدون في

مؤلفه الشهير "المقدمة" بعد أن تعب في البحث عن أصل قبائلها وأصل هذه التسمية، حتى أنه كما يروى قضى فيها فصلين كاملين: الربيع والصيف، وكتب قليلا عن لهجة أهلها وعن زراعاتهم وعاداتهم... أحضروا محنطا مصريا من "أسوان" روى أن أجداده هم الذين حنطوا ملوك الفراعنة"، هذه الأمكنة التراثية تصرح بنوع من هلوسة الوعى الكتابى المقصود، والمستفاد من التحولات المجازية في تأثيث شبكة كرونوتوب المكان أو الفضاء، تسقط بها سيكولوجيا الشخصيات، حتى ينتج المكان التراثي أو العجائبي انسانا من مثل طبيعته، وبالتالي ليتمكن "أمين الزاوي" من بعث روح الحياة في الفضاء الروائي من خلال صلته بالشخصيات، لتصبح الشخصيات تعكس المكان في جماله، وقبحه، وموته، وحياته، من خلال تحديد درجة انفعال هذه الشخصيات مثل "يروى أن ابن خلدون نفسه، حين أعجب به أهل القرية كرمه شيخها بأن منحه شهادة الانتماء إلى القرية، ولولا أن استعجله طلب حاكم تونس، لتزوج من هذه القرية".[20]

يتماهى كرونوتوب التراث الى درجة الأسطورة، بحيث يصبح فيه لا الزمان ولا المكان لهما وجودا، لأن "الأسطورة حدث بلا زمان ومكان"[21] وأمين الزاوى ذهب بعيدا بالتراث إلى حد الأسطرة، فلم يحدد المكان أو الفضاء، إلا من قبيل الرمز، وهي ليست بالحدث التاريخي المدون في الكتب، بل حدث خارج عن سياق الزمكان "يقول من عاصر جدي، أن الاحداث لم تجعله ينهيكتاب العرفان في وصف الخلان، وأنه لم يعترف كل الاعتراف، ولم ينر جوفه بضوء الكتابة الذى هو ضوء الحق الغالب، لذا روى الناس نهاية الحكاية على روايتين: الأولى مفادها أن جدي تزوج بزهرة، وأن عبد الله لم يستطع خيانة والده على الرغم من أنها شغلته قيلولات الصيف وظهيرات الشتاء، وأن ذاكرته لم تعد اليه وظل كلام الله في مملكة النسيان... أما الرواية الثانية فحواها أن أبي، فرح فرحا ليس له مثيل حين دخلت زهرة دار جدي، وأنه استعاد ذاكرته واسترجع كتاب الله والمتون التى حفظ".[22]

– شخصية ابن خلدون: يذكر أمين الزاوي هذه الشخصية منذ بداية الرواية، وكما هو معلوم عند الجميع "ابن خلدون" مؤسس علم العمران والاجتماع، من خلال جمع ومعايشة أحوال الناس، ومنهم أناس قرية امسيردا "إن قوما من عقلاء النوع الانساني، زعموا أن الوجود كله، الحسي منه وما وراء الحسي، تدرك أدواته وأحواله، بأسبابها وعللها، بالأنظار الفكرية والأقيسة العقلية، وأن تصحيح العقائد الايمانية، من قبل النظر لا من جهة السمع فإنها بعض من مدارك العقل، وهؤلاء يسمون فلاسفة، جمع فيلسوف، وهو باللسان اليوناني محب الحكمة"،[23] والمنظور الزمكاني لابن خلدون يؤكد صحة ما تقدم به في مقدمته عن أهل قرية "امسيردا" التى أراد لها الزاوي أن تكون ميثاق صادقا مؤرخا من قبل ابن خلدون، والملامح التاريخية لابن خلدون تؤكد أمازيغية الكرونوتوب في الرعشة من خلال الفضاء المفتوح والمتعدد، والاوصاف التى ضمنها الزاوى روايته "... أقرأ وأقرأ الألغاز في كل إحالة حتى أشعر بدوخة، ولكنى حين أتذكر ما قرأته في كتاب "المبتدأ والخبر لابن خلدون عن أصلنا البربري وأسمائنا المختلفة عن أسماء العرب نطقا وكتابة "[24] رغم ما زعمه الجد زهير من أن الاصول لأهالي المنطق عربية، وقد أضفى عليها الكاتب طابع اسطوريا من خلال ربط مضمون ما تقدم ذكره بما كتبه الجد زهير في مخطوطته "أجد الشك يتسرب الى قلبي تجاه هذه التحفة المزوقة التى قضى جدي جزءا معتبرا من عمره في إعدادها"،[25] ولعل الكاتب بتقديمه لهذه الكرنوتوب

الاسطوري لهذه الشخصيات، أراد لروايته "ألا تنتهى في الزمان، وإنما تكون نهايتها فاتحة لزمن لم يأت بعد"،[26] ولا شك أن فضاء مغلقا بهذه التركيبة (القرية) لا يمكن أن يستوعبه سوى كرونوتوب تاريخي اسطوري.

أكثر من هذا يقدم الروائي أمين الزاوي اسطورة لشخص يحي ابن خلدون أخو عبد الرحمان، بأن أورد حديثا أن بينهما خلاف وعداوة حول المجد والسمعة، مثلما حاصل خلاف بين والدة زهير وأختها زهرة ، فيقدم لنا مشهدا بوليفونيا، تتجاذبه عدة مناظير وشخصيات، منها الواقعية والتراثية، كهذين الاخوين ابن خلدون "ضاقت بيا القرية، التى لم تستطع أن تأوى الأخوين ابن خلدون، بل إنها كانت سبب حرب الغيرة بينهما، حرب نبشت جراءها القبور وأصدرت فتاوى و نزلت اللعنة"،[27] ومع صراع الأخوين يتحول كرونوتوبهما الذى لم يبق مبهما، لأن الكاتب لم يفصل في حقيقة ذلك ،من أن لا خصام بين الأخوين قد ذكرته كتب التاريخ ومصادر الأدب والعلم "لقد قدم العالم الخاص بكل بطل، من زاوية خاصة يتم تصويره و بناؤه في ضوئها تماما"[28] لتتحول أفكار شخصياته وأبطاله الى تيمات لموضوعات سردية متعددة، في برنامج سردى واحد الرعشة يمكن لنا رصدها بالدراسة والنقد.

أما شخصية السارد "الحفيد زهير" فهي شخصية ساردة على لسان الكاتب في أغلب ، لأن قيمته من قيمة الكاتب، لكنه لا يخضع له كليا ، فله استقلالية استثنائية داخل العمل الأدبي، مثله مثل باقي الشخصيات الاخرى لها مواقف ووجهات نظر يعتد بها، باعتبارها أقنعة رمزية وايديولوجية، لأن المهم على حد تعبير "باختين" وبالنسبة لدوستوفسكى "لا من يكون بطله، بل بالدرجة الاولى ما الذى يكونه العالم بالنسبة للبطل، وما الذى هو بالنسبة لنفسه ذاتها"،[29] ويطور أمين الزاوي كرونوتوب تعدد شخصياته من خلال لغتها وأسلوبها، فها هو يسند الى الجد زهير ابن اسحاق أسلوبا تراثيا (اسلوب الصنعة) من باب الأسلبة و تقليد القدماء "في رأس كل صفحة مقلدا خط والده، عبارة الصلوات والسلام عن الرسول وأصحابه وذويه، حتى يغالط من تحاول نفسه اكتشاف ما في هذه المعادلات المليئة بالرموز والمختومة بأبيات شعرية لأبي نواس أو ابن الوليد..."،[30] "وأعتقد أن أبي لم يكن ذلك الفجر يقرأ من القرآن أو الشعر، بل إنه كان يستظهر عن ظهر قلب ما جاء في نص التميمة الحمد لله الذى حمده بسط السماوات والأرض، والسلام على المصطفى وعلى الأنبياء والمرسلين من خلقه، وعلى الملائكة المجنحة فى عرشه"،[31] ليضفي على كرونوتوبه ميزة أكثر حضورا بنصه الرعشة، وهي تهجينه بنصوص أخرى، وحضور مقدار من التناص فيها من مثل ذلك "كانت لوحة رائعة، لو أن جدي استغل ماء استحمام جدتي، لكان رساما كبيرا، تفوق شهرته أولئك الذين جاؤوا بلادنا فصنعوا منها أسماءهم الكبيرة: دولا كروا، ماتس أو إتيان ديني... كان بالإمكان أن يكون أشهر من بيكاسو وهو الذي يعرف الاسبانية".[32]

كل هذا يسقفه أمين الزاوى بتنضيد لغوى مهنى، نابع من لغته ككاتب وروائي، الذى يجمع لغة كرونوتوب متعدد المستويات اللغوية، دون أن ننسى العبارات المسكوكة "استخرج أربعة عشرة نوعا من النبيذ، ذى الألوان المختلفة من الأبيض والوردي والبني والخوخي والرماني والأحمر والزهري والأسود والشكولاطي والغسقي والبيجي والسمقي والأحمر الغزالي والسماوي، لكل لون مذاقه من الحلو العسلي إلى المر الحنضلي"،[33] وهي لغة صناع الخمرة والنبيذ والعارفين بأحوالها وأسرارها، هذه المستويات تشكلت في وعى الكاتب مطورا اياها داخل تعدد لساني في

"رعشته" في شكل أسلبة جديدة قديمة، قدمها بغرض التخفيف من نمطية التعبير وأحكامه القيمية، كما اعتمد تهجين لغته السردية ما بين الفصيح والعامى، لأنه برأيه هو التقاء لمستويين لسانيين مفصولين بحقبة زمنية، وبفارق اجتماعى، أو بهما معا داخل سياق ذلك الملفوظ، ويمكن تمثل ذلك في الجدول الآتى:

موقع التركيب داخل رواية "الرعشة"	التركيب باللغة العامية
– الدالية وما أدراك ما الدالية ص 33	– الدالية
– هربت مع رجل اسمه شوراكى الى جبل	– زبربر
يدعى زبربر ص38	– المطمور
– لم يبق منه سوى المطمورة ص 80	– يمصمص
– يمصمص الرجل هذه الاخبار ص 84	– قجرا
– سحبت زهرة قجرا أخرجت من صندوقا ص 97	– قبالتها
– مدونات من العسل القطرانى ص 97	– القطران
– اطفأنا كل شمعة أو لمبة ص 107	– لمبة
– يذكر اسماء الدشور ص 118	– الدشور
– فليقطع لغاليعه ص118	– لغاليغه

كما لا ينسى الكاتب ذكر بعض الشخصيات التراثية الموسيقية ك (عيسى الجرموني، عبد الكريم دالي، رضوان بن صاري)، التى أعطاها ميزة جمالية ذوقية من طرف الأجنبي شوراكي الذى يعشق أغاني هؤلاء، ليؤكد أن الكرنوتوب استجلب بدأ من عالم الموسيقى، لأنه يعنى بتعدد الأصوات والأنغام، لتحدث حالة من اللا نهائية في المحبة بين الناس على اختلاف أجناسهم وتاريخهم وثقافاتهم "شوراكى يحب الموسيقى أيضا، يحب الاستماع الى رنات الوهرانى، وعيسي الجرموني، وعبد الكريم دالي، ورضوان بن صاري"[34] من باب توظيفها كرونوتوبا كرنفاليا، وقد جمع فيه عدة لوحات للمتناقضات من جد وهزل، ورقص ونقد، بساحة منزل الحفيد زهير، على إثر نيله شهادة الباكالوريا، حيث تجمع أهل القرية رفيعها ووضيعها، عاكسا لنا منطق الشذوذ والغرابة والارتجال والاحتفال والحميمية والانسانية... ليتنازل الكاتب هنا عن سلطة الكتابة للسارد وعن دوره، ويعبر عن شبكة من العلائق المؤسسة لكرنوتوب الرعشة "بهجة لأبي وبهجتان لأمي، ما بقي من زغاريد وبارود الاحتفال، حيرة مليئة بخوف غامض قارس، يشبه تلك الأحاسيس التى تغمرنا ساعة الختان، هي القرية كلها تحتفل، رجال كثيرون ونساء كثيرات، وأطفال كالنحل وخيل وغبار...".[35]

خلاصة:

الكرونوتوب نظرية تعكس زمان المؤلف في الفضاء، وفضاء المؤلف في الزمان بشكل جد متماسك، حيث يتحدد التفكير والمنظور الروائي في علاقة الرواية بالتاريخ والتراث، وتطور المجتمعات، حتى تصبح الرواية وجها من

وجوه التاريخ تخبر عنه، كما تقدم الأسئلة الحداثية لقراءة هذا التاريخ، لأن الكرونوتوب تعدد للأطروحات الفكرية والمواقف الايديولوجية، واللغات والأساليب، لذلك كرونوتوب الرعشة يمتاز بما يلي:

- كرونوتوب الرواية يعكس الحالة النفسية لشخوصها.
- كرونوتوب الرواية يشكل وعيا مقصودا من الكاتب بإعطائه دلالة عجائبية رغم واقعيته.
- كرونوتوب الرواية يقترب من دائرة التجريد، بعيدا عن الخصائص الهندسية.
- كرونوتوب مقصود بترسيخ تقنية الوصف لتعجيب المكان.
- تاريخية الكرونوتوب تكمن في لا نهائيته، عند حد معين، لأن الرواية مفتوحة على كرونوتوب لم يأت بعد (زمن المصالحة الوطنية).
- لهجات شخصيات الرواية المختلفة علامة دالة على انفتاح الكرونوتوب على أكثر من منحى تأويلي.
- سمة الوحشة لقرية "امسيردا" والمدينة "وهران" استبدلت كرونوتوبها الرقمى بكرونوتوب زمنى سلبي (الإرهاب).

المصادر والمراجع:

المصدر:

1. الرعشة، أمين الزاوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2. 2005

المراجع:

1. عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2000.
2. عمر الفاروق الطباع، ابن خلدون، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1997، مصر.
3. فراس سواح، قراءة في ملحمة جلجامش، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، قبرص، دمشق، ط1، 1987.
4. محمد الباردى، في نظرية الرواية، سراس للنشر، 1996.
5. محمد عمر، تجارب روائية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2004.
6. ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، سوريا 1990.
7. ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكى، ترجمة جميل نصيف التريكى، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1986.
8. يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطسنية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (د.ط)، 1999.
9. Henrik mette rand, chromotypies romantiques (poétiques n81, février 1990, paris, seuil.
10. Josette Rey –debove, essaie de typologie sémiologique des titres d'œuvres, in le métalangage, Armand-colin, paris, 1997.

الهوامش والإحالات:

[1] ميخائيل باختين، أشكال الزمان والمكان في الرواية، ترجمة: يوسف حلاق، وزارة الثقافة، سوريا 1990، ص 6.

[2] محمد الباردى، في نظرية الرواية، سراس للنشر، 1996، ص 104.

[3] عبد الحميد عقار، الرواية المغاربية، تحولات اللغة والخطاب، شركة النشر والتوزيع المدارس، الدار البيضاء، ط 1، 2000 ، ص26.

[4] الرعشة، أمين الزاوي، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، ص 8.

[5] المصدر نفسه، ص 9- 29.

[6] Josette Rey –debove, essaie de typologie sémiologique des titres d'œuvres, in le métalangage, Armand-colin, paris, 1997, p 307.

[7] Henrik mette rand, chromotypies romantiques (poétiques n81, février 1990, paris, seuil, p90.

[8] Ibid, p95.

[9] الرعشة، أمين الزاوي، ص 24، 25.

[10] المصدر نفسه، ص 43.

[11] المصدر نفسه، ص 69-75-126،125.

[12] يوسف حطيني، مكونات السرد في الرواية الفلسطسنية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق (د.ط)، 1999، ص 15.

[13] الرعشة، أمين الزاوي ، ص 26، 27.

[14] المصدر نفسه، ص، 49.

[15] المصدر نفسه، ص 83، 84.

[16] فراس سواح، قراءة في ملحمة جلجامش، سومر للدراسات والنشر والتوزيع، قبرص، دمشق، ط1، 1987، ص53.

[17] الرعشة، أمين الزاوي، ص37، 38.

[18] المصدر نفسه، ص39.

[19] المصدر نفسه، ص7.

[20]- عمر الفاروق الطباع، ابن خلدون، مؤسسة المعارف للطباعة والنشر، 1997، مصر، ص90.

[21]- الرعشة، أمين الزاوى، ص27.

[22]- المصدر نفسه، ص72.

[23]- عمر محمد عمر، تجارب روائية، مركز عبادي للدراسات والنشر، صنعاء، ط1، 2004، ص127.

[24]- الرعشة ، أمين الزاوي، ص82.

[25]- ميخائيل باختين، شعرية دوستوفسكى، ترجمة جميل نصيف التريكى، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1، 1986، ص34.

[26]- المرجع نفسه، ص67.

[27]- الرعشة، أمين الزاوي، ص29.

[28]- المصدر نفسه، ص34 ، 35.

[29]- المصدر نفسه، ص27.

[30]- المصدر نفسه، ص28.

[31]- المصدر نفسه، ص83.

[32]- المصدر نفسه، ص29.

[33]- المصدر نفسه ، ص29

[34]- المصدر نفسه ، ص33

[35]- المصدر نفسه ، ص56